





شؤون ثقافية (١)

أدب الأطفال العرب

الدكتورة نجلاء نصير بشور

المحتويـات

مقدمة

يدور جدل بين الأدباء عامة حول ما يمكن إدراجه تحت عنوان أدب الأطفال. أهو الأدب الموجّه خصيصاً إلى الأطفال، أم أنه ذلك الجزء من الأدب العام الذي يستسيغه الأطفال صغاراً وكباراً، ويقبلون عليه ويجدون فيه ما يسد بعضاً من حاجاتهم النفسية والذهنية؟ ولكننا في هذه الدراسة اعتمدنا الاتجاه العام الذي حدد مصطلح أدب الأطفال بالأدب الموجّه إلى الأطفال مباشرة، الذي كتب بمعظمه بأهداف تربوية ووطنية وترفيهية، مراعياً حركة نمو الطفل النفسية والعقلية والاجتماعية.

إذاً، أدب الأطفال هو أدب يتوجّه إلى فئة محددة من الناس، وهي الأطفال من عمر أشهر وحتى مرحلة المراهقة، ويشمل ثلاث فئات عمرية: الطفولة المبكرة، من عمر صفر وحتى ثماني سنوات، والطفولة المتوسطة، من عمر ثماني سنوات إلى اثنتي عشرة سنة، والفتيان من اثنتي عشرة سنة وحتى السادسة عشرة. وهذا الأدب يتكوّن من أعمال شفهية ومكتوبة ومرئية ورقمية لديها القدرة على تنمية النواحي الذهنية والعاطفية لدى الأطفال.

بدأ الأدب الموجّه إلى الأطفال شفهياً منذ كانت الأم تحكي لأطفالها الحكايات، ومعظمها يكون على شكل أغنية تغنيها لهم وهم بعد أطفال رضّع، وذلك في المجتمعات الإنسانية كافة. ورغم أن هناك الكثير من الخصائص المشتركة بين الأطفال في العالم، إلا أن هذه الحكايات والأغنيات كانت دوماً تعبّر عن ثقافة المجتمع الذي نشأت فيه، لا سيما وأنها تعتمد اللغة الأم التي تحمل خصائص الهوية الثقافية للمجتمع الذي تنتمي إليه. وما تطوره إلا تماشياً مع التغييرات التي تطرأ على المجتمعات التي تؤدي إلى تغيير اهتمامات الأطفال فيها.

صحيح أن أدب الأطفال فن قائم بذاته، إبداعي يحتاج إلى موهبة ويتمتع بالخصائص التي تجعله جذاباً بالنسبة إلى الكبير والصغير، إلا أنه اقترن منذ بداياته، بالتربية وبالتنشئة الاجتماعية. بل يجد الباحثون أنه من الصعب تحديد خط فاصل بين التعليم والترفيه في الأدب، لا سيما المروي منه[١].

أولاً: الأدب والأطفال

يلبّي الأدب بشكل عام، والقصة بشكل خاص، حاجات نفسية متعددة للأطفال، ومنها: حاجتهم إلى الأمان، وإلى إثبات قدراتهم على الإنجاز من خلال تماثلهم مع أبطالها. كما توفر لهم دافعية داخلية لمواجهة الصعاب والفشل والمآسي والمخيبات. وفي الوقت نفسه تلبّي حاجتهم إلى التغيير أو التحرر من الواقع بالخروج مع القصة إلى عالم من الخيال، ثم العودة إلى الواقع. وتلبّي القصة حاجة الأطفال إلى المعرفة، فتغذّي الأسئلة وحبّ الاستطلاع لديهم. كما حاجة الأطفال إلى الجمال والنظام فتوفرهما من خلال النص والرسوم على السواء؛ «فأدب الأطفال، كما يقول حسن شحاتة، يتيح الفرصة أمام الأطفال لتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة في مواصلة البحث والكشف وحب الاستطلاع، والدافع إلى الإنجاز الذي يدفع إلى المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف والتحرر من الأساليب المعتادة للتفكير والميل إلى البحث في الاتجاهات الجديدة..»[٢].

وتتماشى القصة مع كيفية تعلم الأطفال، حيث توفر لهم عنصرين يحفزانهم على التعلم والمعرفة، وهما التحدي والإثارة. كما توفر لهم خبرة غنية لبناء المعنى: فالقصة تمكّنهم أولاً، من رؤية أبطال القصص مهما كانوا أشخاصاً أو حيوانات واقعية أو خيالية والأحداث المختلفة التي يتعرضون لها، ضمن سياق وبيئة محددة مترابطة. وتمكنهم ثانياً، من الربط بين خبراتهم

---

(١) J. D. Stahl, Tina L. Hanlon, Elizabeth Lennox Keyser, eds., *Crosscurrents of Children's Literature: An Anthology of Texts and Criticism* (New York; Oxford: Oxford University Press, 2007).

(٢) حسن شحاتة، **أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩١)، ص ١٢.

وظروفهم الشخصية العادية منها والاستثنائية وما تحمله من قيم ومعلومات وتلك التي يعيشها ويخوضها أبطال القصة. كما تثير فيهم ثالثاً، عواطف مختلفة، من الفرح والحزن والحماسة والغضب والخوف والقلق والاطمئنان، وهم يتابعون حياة هؤلاء الأبطال ومغامراتهم.

وهذه العناصر الثلاثة: الرؤية ضمن سياق واستشعار الصلة الشخصية وإثارة العواطف، تشكّل مكوّنات المعنى في الذهن التي تجعل الخبرة التي تشملها جزءاً حيوياً من الذاكرة الشخصية، وهذا ما تؤكده أبحاث الدماغ الحديثة[٣].

فالقصة إذاً تشكّل خبرة ذات معنى لقرائها بشكل عام، وللأطفال منهم بشكل خاص، مما يبقيها حية في ذاكرتهم بأحداثها وشخصياتها والقيم والمفاهيم التي تتضمنها.

إن هذه السمات لأدب الطفل جعلته وسيلة هامة استخدمتها المؤسسات المعنية بالتربية والتنشئة الاجتماعية من أسرة ومدرسة ومؤسسة دينية على مرّ العقود.

وبناء على ما سبق تعتمد افتراضين تستند إليهما هذا الورقة:

الافتراض الأول: يعكس أدب الأطفال واقع المجتمع الحالي، كما يهيّئ لمستقبله، بحيث إنه يشكل إنتاجاً اجتماعياً وقوة دفع اجتماعي في آن. فأدب الأطفال، كما الأدب عموماً، يعبّر عن طبيعة الحياة في المجتمع والقيم التي تحكم العلاقات بين أبنائه، وبالتالي يتغير مع تغير المجتمع بوسائله والمفاهيم التي ترافقها.

الافتراض الثاني: يشكّل أدب الأطفال وسيلة فعّالة للتربية والتنشئة الاجتماعية وإثارة الوعي حول قضايا تشغل المجتمع. إن قوة هذا الأدب تتمثل في كونه يتماشى مع الطريقة التي يتعلم فيها الطفل من ناحية، ويلبّي حاجات الطفل النفسية من ناحية ثانية. لذا فهو يتغير بتغير أساليب وأهداف

---

(٣) Eric Jensen, *Teaching with the Brain in Mind* (Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development, 1998), p. 90.

التربية والتنشئة الاجتماعية الناتجة من تغير النظرة إلى الطفل وتغير اهتماماته ومشاكله وأولوياته.

ثانياً: لمحة تاريخية

جاءت الكتابة الموجّهة خصيصاً إلى الأطفال في العالم متأخرة عن أنواع الأدب الموجّه إلى الكبار. حيث بدأت الكتابات الأولى للأطفال في نهاية القرن السابع عشر، على شكل ومضات هنا وهناك، واعتمدت بالدرجة الأولى على الحكايات الشعبية والخرافات التي كانت تروى للأطفال شفهياً، ولكنها انطلقت في منتصف القرن العشرين لتشكّل مدىً واسعاً في بلدان العالم، تنوّع في أشكاله ونصوصه ورسومه، كما توجّه إلى كافة الأعمار، وذلك مع تغير المجتمعات وتغير النظرة إلى الطفل والتربية معاً.

١ ـ بدايات أدب الأطفال في العالم

لم نر كتباً موجّهة إلى الأطفال خارج الإطار المدرسي، إلا مع النصف الثاني من القرن السابع عشر. وكان ذلك في فرنسا مع الشاعر جان لافونتين (١٦٢١ ـ ١٦٩٥) وصدور كتابه «حكايات خرافية» عام ١٦٦٨، وكانت معظمها تتداول بين الناس شفاهياً وتدور على ألسنة الحيوانات، ومن أشهرها حكاية «الثعلب والغراب». وقد استحق لافونتين لقب أمير الحكاية الخرافية في الأدب العالمي. وتبعه شارل بيرو (١٦٢٨ ـ ١٧٠٣) الذي كتب خصيصاً للأطفال. ويعتبر كثيرون تاريخ صدور كتابه الأول بعنوان «أقاصيص وحكايات الزمن الماضي، مع عبر»، أو «حكايات الأوزة الأم» عام ١٦٩٧ التاريخ الفعلي لميلاد أدب الطفل المكتوب؛ إذ تضمّن أول مجموعة من الحكايات الخيالية الموجّهة إلى الأطفال، ومنها «سندريلا» و«ذات القبعة الحمراء» و«الجميلة النائمة في الغابة» و«عقلة الإصبع».

إلا أن الكتّاب الأولون، ومنهم لا فونتين وبيرو، اعتمدوا في قصصهم على تراث غزير من القصص الخرافية والخيالية التي امتدت جذورها إلى الشرق، لا سيما الهند. وكانت تحمل حكماً وعبراً أخلاقية، كما جاءت في غالبيتها على لسان الحيوانات. ورغم أن الحكايات التي تنسب

إلى إيسوب، الذي عاش في اليونان في القرن السادس قبل الميلاد، تعتبر أولى الحكايات التي استقى منها الكتاب الأوروبيون والعرب حكاياتهم، إلا أنها لم تدوّن إلا في القرن الأول الميلادي. وكانت قد أضيفت إليها حكايات شرقية وهندية ومصرية فرعونية وأخرى من بلاد الرافدين. لذلك تعتبر الحكايات الهندية «البانجاتنترا» التي وضعها برهمي، الحكيم الهندي، ومعناها في اللغة السنسكريتية «الأسفار الخمسة»، التي دوّنها فيشنو شارمان، في مئتي عام قبل الميلاد، هي الحكايات الأولى المدوّنة التي استقى منها العديد من كتاب الأطفال خرافاتهم وحكاياتهم. وهي عبارة عن حكايات تعليمية على لسان حيوانات، وقد جاءت في خمسة كتب «أسفار» كل منها تحوي حكاية تتفرع منها عدة حكايات. وتعتبر «البانجاتنترا» أصل حكايات «كليلة ودمنة» التي ترجمها عبد الله إبن المقفع عبر اللغة البهلوية. وقد عدل فيها بما يتناسب مع البيئة الاجتماعية في بغداد إبان العصر العباسي، كما استخدمها للتعبير عن آرائه وحِكَمِه السياسية الموجّهة إلى الحكام آنذاك. وقد صاغ ابن المقفع هذه الحكايات بلغة عربية اعتمدها المترجمون باللغات المختلفة[٤].

من هنا نجد أن العديد من الحكايات التي ظهرت في أوروبا مشتركة لا سيما بين «البانجاتنترا» وحكايات إيسوب. وقد أقرّ جان لافونتين في مقدمة الجزء الثاني من كتابه للحكايات الخرافية بجذور هندية لخرافاته: «هذا هو الكتاب الثاني من الخرافات التي أقدمها للجمهور، وعليّ أن أقرّ بأن القسم الأكبر منها مستوحى من بيلبي، الحكيم الهندي».

في بريطانيا يعتبر جون نيوبري (١٧١٣ ـ ١٧٦٧)، صاحب مكتبة الأطفال المشهورة باسمه، رائداً لأدب الأطفال فيها، وقد أصدركتابه الأول عام ١٧٤٤ بعنوان «كتاب جيب صغير جميل» ويضم بين ثناياه حكايات بصياغة شعرية تعتمد الأحرف الأبجدية، وتتضمن حكماً وأحكاماً، تكافئ

(٤) هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، عالم المعرفة؛ ١٢٣ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨)، ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

فيها الأفعال الجيدة وتعاقب الأفعال السيئة. وفي عام ١٨٦٥، أي بعد حوالى القرن، صدر في بريطانيا كتاب ما زال يعتبر من كلاسيكيات أدب الأطفال «أليس في بلاد العجائب» بتوقيع كاتب باسم لويس كارول. إلا أن لويس كارول كان إسماً مستعاراً للكاتب وعالم الرياضيات البريطاني شارلز لوتويدج دودجسون (١٨٣٢ ـ ١٨٩٨) الذي لم يشأ أن يقرن اسمه بكتاب للأطفال.

وربما كان من أشهر الكتّاب الذين أسسوا لأدب الأطفال العالم الدانماركي هانس كريستيان أندرسون (١٨٠٥ ـ ١٨٧٥) الذي أصدر حوالى مئة وخمسين حكاية للأطفال على مدى حياته. وقد صدر عام ١٨٣٥ أول كتبه «خرافات تحكى للأطفال»، الذي تضمّن صياغة جديدة لحكايات كان يسمع الكبار يروونها شفهياً في طفولته. وتميز أسلوبه بالمرح ليعبّر من خلاله عن قيم أخلاقية، ويقدم شخصيات لا تنسى. وما زال العديد من حكاياته يعتبر من كلاسيكيات أدب الأطفال العالمي، وقد ترجم إلى عدة لغات، بما فيها اللغة العربية؛ ومنها: «الأميرة وحبة الفاصوليا» و«عقلة الإصبع» و«الحورية الصغيرة» و«ثياب الإمبراطور الجديدة» و«البطة البشعة».

وفي الفترة نفسها برز الأخوان ويلهيلم (١٧٨٩ ـ ١٨٥٩) ويعقوب (١٧٨٥ ـ ١٨٦٣) جريم، الألمانيان اللذان جابا القرى الألمانية المختلفة، يجمعان من أطفالها ما كان يرويه لهم الكبار من حكايات، وصاغاها بلغة جرمانية موحّدة، ووضعاها في كتابين بعنوان «حكايات الأطفال والبيوت». صدر الأول منهما عام ١٨١٢، والثاني عام ١٨١٤. وأبرز الحكايات التي تضمّنها الكتابان التي ما زالت متداولة: «سندريلا»، «ذات القبعة الحمراء» و«ريبونزل» و«بياض الثلج»، «ورامبلستيلتسكين» و«هانسل وغريتيل» و«موسيقيو بريمن» و«عقلة الإصبع». ونرى هنا تكراراً للحكايات نفسها التي رواها الكتّاب الأوائل التي ترجمت إلى معظم لغات العالم، وباتت من كلاسيكيات أدب الأطفال.

في روسيا، في الفترة نفسها، كتب كبار الأدباء للأطفال منذ منتصف القرن الثامن والتاسع عشر، ومن أبرزهم إيفان كريلوف (١٧٦٨ ـ ١٨٤٠)

الذي نشر حكايات أبطالها حيوانات في تسع مجموعات. كما أصدر الشاعر بوشكين (١٧٩٩ ـ ١٨٣٧) كتاب «حكايات خرافية»، وكذلك توجّه ليو تولستوي إلى الأطفال بكتاب بعنوان «٢٣ حكاية» ١٨٧٢ ، ضمّنه حكايات تراثية روسية، ومن أشهرها «إيفان الغبي».

٢ ـ بدايات أدب الأطفال في البلدان العربية

أما في بلادنا العربية، فرغم أن هناك من يعتبر بأن أول القصص المكتوبة التي عرفتها البشرية هي القصص المكتوبة على ورق بردي[٥]، فقد خلا الأدب العربي من أدب الأطفال، باستثناء الأغاني التي عرفت بأغاني ترقيص الأطفال، وقد نقل أغلبها بالعامية[٦]. وكان أطفالنا يقبلون على الأساطير القديمة والقصص التي لم تكتب خصيصاً لهم، ولكنهم استساغوها وقرأوها، كقصص «كليلة ودمنة»، و«ألف ليلة وليلة»، ثم الأساطير العربية كـ «عنترة بن شداد»، و«أبو زيد الهلالي»، و«سيف بن ذي يزن» و«حي بن يقظان»، التي كان يرويها الحكواتية في الحارات والمقاهي الشعبية في عدد من المدن العربية، بيروت وطرابلس ودمشق وبغداد والقاهرة. وقد ظهرت مع مجيء الإسلام، القصص الدينية المتمثلة بأخبار الرسول وأعماله وأخبار الصحابة، ومن أتى بعدهم، وجهاد المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية في مشارف الأرض ومغاربها، وأخبار العلماء والصالحين والرحّالة وكذلك أخبار الأمم الأخرى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، إضافة إلى قصص الحيوانات التي وردت فيه وفي الأحاديث النبوية الشريفة. وعندما اتسعت الدولة توفر عدد من المؤلفين المسلمين وكتّاب التراث الذين سجلوا الأساطير والحكايات من مختلف الأمكنة والأزمنة، فكان كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني و«البخلاء» للجاحظ و«مقامات الحريري» و«مقامات بديع الزمان الهمذاني» إلى جانب

---

(٥) عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم (القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٨).

(٦) أحمد أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب: منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٢).

الحكايات المذكورة آنفاً[٧]. لذا عندما بدأت الكتابة الأولى الموجّهة إلى الأطفال العرب في النصف الأول من القرن التاسع عشر، اعتمدت على هذا التراث الغزير من الحكايات والأساطير، بنفس القدر الذي استوحته من الكتابات الأوروبية الأولى التي سبقتها. وإن كان هناك تشابه في بعض المصادر.

ثالثاً: مراحل نمو أدب الأطفال العرب

قبل الولوج بعرض المراحل وخصائصها، لا بد من بعض الملاحظات:

الملاحظة الأولى، أن أدب الأطفال العرب لم ينمُ بنفس الزخم والطريقة في جميع البلدان العربية. بل تركزت بداياته، في المرحلتين الأولى والثانية في مصر ولبنان وفلسطين وسورية والعراق، أما في البلدان الأخرى فجاء الإنتاج الأدبي للأطفال متأخراً عنها كتونس والمغرب العربي والسودان والبحرين، ومن ثم باقي دول الجزيرة العربية.

و**الملاحظة الثانية**، أن ترجمة الكتب الأجنبية من قِبَل كتّاب عرب ترافق، منذ البدايات وحتى الآن، مع الإنتاج الأصيل. وقد تركزت الترجمة على مصادر فرنسية في لبنان وبلدان المغرب العربي، وإنكليزية في باقي البلدان العربية، وحديثاً سويدية. والمفارقة أنه من ضمن ما ترجم منها حكايات من أصول عربية وشرقية. وسنعالج فيما يلي الأدب المكتوب أصلاً باللغة العربية.

الملاحظة الثالثة، تتعلق بالكتّاب، فهناك عدد من مؤلفي كتب الأطفال قضوا معظم حياتهم في الكتابة للأطفال، ولذلك نراهم ينتجون ويبدعون في المراحل الثلاث المذكورة، وقد تنوعت مواضيع كتابتهم، كما تنوعت الفئات العمرية التي توجّهوا إليها. كما أن الاهتمام بالأطفال وأدبهم استحوذ على أدباء ومثقفين كبار منذ نشأته وفي المراحل الثلاث، أمثال أحمد شوقي ونجيب محفوظ وعبد الوهاب المسيري في مصر، وعلال الفاسي والعربي بنجلون في المغرب، وسليمان العيسى وزكريا تامر في سورية، وميخائيل نعيمة وإميلي

(٧) نجيب الكيلاني، **أدب الأطفال في ضوء الإسلام** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦)، وأبو معال، المصدر نفسه.

نصر الله وإدفيك شيبوب في لبنان، ومحمود زايد وإسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وتوفيق زياد في فلسطين، والطيب صالح في السودان، ومعروف الرصافي في العراق.

١ ـ البدايات (قبل العام ١٩٧٩)

كما في باقي العالم، فقد تميز أدب الأطفال العرب منذ البدايات، بارتباطه بالتربية والتنشئة الاجتماعية، وبالتالي الاهتمام بالطفل وتنميته لضمان مستقبل أفضل لبلادنا، أسوة بالدول الغربية، التي كانت نموذجاً للتقدم من ناحية، ومستعمراً تسعى دولنا إلى نيل الاستقلال منه من ناحية ثانية. فإلى جانب الترجمات، أبدع الكتّاب العرب قصصاً للأطفال، ركزوا فيها على مواضيع تتعلق بالتراث والقيم الاجتماعية والوطنية. ولفترة طويلة كتب معظم المؤلفين أدباً مسانداً للمدرسة، حيث إن العديد منهم كان من مؤلفي المناهج التربوية لا سيما في اللغة العربية، وكان وراء ذلك الاهتمام بالتربية الوطنية، حيث لم تتطرق إليها المناهج حينها.

كانت البداية لأدب الأطفال العرب في عهد محمد علي في مصر الذي أرسل البعثات العلمية إلى أوروبا للدراسة والاطلاع. وقد ظهرت البادرة الأولى أيام رفاعة الطهطاوي الذي أمر بنقل أدب الأطفال في أوروبا إلى اللغة العربية بصفته مسؤولاً عن التعليم في مصر. كما ترجم بنفسه قصة «عقلة الإصبع»، وأشرف على إصدار أول مجلة عربية للطفل بعنوان «روضة المدارس» كما أصدر كتاب «المرشد الأمين في تربية البنات والبنين» عام ١٨٧٥. تبعه عثمان جلال بكتاب «العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ»، وضمّنه حوالى مئتي حكاية خرافية على ألسنة الحيوان، كانت معظمها ترجمة بتصرف عن حكايات لافونتين، وقد ورد بعضها بين حكايات إيسوب. وقد نَظَمها جلال شعراً بين أعوام ١٨٤٩ ـ ١٨٥٤[٨]. بعد جلال جاء أحمد شوقي ليكتب مجموعة من الحكايات الشعرية للأطفال، وينشرها في الجزء الرابع من ديوانه المشهور «الشوقيات» عام ١٨٩٨. وقد استوحى من خرافات لا فونتين

(٨) الهيتي، ثقافة الأطفال.

الكثير منها، كما ذكر الشاعر في مقدمة الديوان. وأتبعها بديوان للأطفال احتوى مجموعة من القصائد والحكايات. وبينما تميز شوقي بالشعر، برز كامل كيلاني كأكبر روّاد أدب الأطفال العرب؛ ففي حوالى ١٩٢٨ بدأ كامل كيلاني (١٨٩٧ ـ ١٩٥٩) ينشر قصصه الأولى للصغار في القاهرة التي كانت مترجمة عن كتب أوروبية، لكنه سرعان ما أخذ يؤلف قصصاً من إبداعه. وأتت أولى إبداعاته غَرْفاً من التراث، فكانت قصته الأولى «السندباد البحري». وتتالت بعدها قصصه لتصل إلى حوالى مئتي قصة، تركز أغلبها على القيم الأخلاقية والدين والقواعد، وبعضها كان فكاهياً، أو يدور حول الحيوانات. كما توجّه الكيلاني إلى فئات عمرية مختلفة. ورغم أن الكيلاني نظم شعراً إلا أن جهده تركز على القصص التربوية، وقد أسس مدرسة لأدب الأطفال وحكاياته.

ظهر في مدرسة الكيلاني كتّاب للأطفال اشتهروا على مستوى الوطن العربي محمد الهراوي (١٨٨٥ ـ ١٩٣٩) الذي عُرف بشعره كما في مسرحياته، ونشر شعره في كتب، منها «سمير الأطفال للبنين» ١٩٢٢ و«سمير الأطفال للبنات» ١٩٢٣، تلاهما «أغاني الأطفال» ١٩٢٤، وكذلك يعقوب الشاروني (١٩٣١ ـ ٢٠٠٣) وفي جعبته ٤٠٠ كتاب، وأحمد نجيب الذي اشتهر بقصصه للصغار ودراساته حول أدب الأطفال للكبار، التي اعتبرت وما زالت مرجعاً استفاد منها المؤلفون والباحثون، وكذلك تلاه عبد التواب يوسف الذي كتب القصة والمسرحية. وقد كتب جميع هؤلاء قصصاً من التراث العالمي والعربي وحكايات الحيوانات وغيرها، ونالوا عليها جوائز عالمية، وقد ترجمت بعض كتبهم إلى لغات أوروبية. وتميز جميعهم، كما أحمد نجيب، بأنهم وضعوا دراسات حول أدب الأطفال، بالإضافة إلى إبداعهم.

يعتبر التاريخ الإسلامي بشخصياته وأبطاله المعروفين مادة هامة لأدب الأطفال والفتيان في كافة مراحله. إلا أن أكثر الروايات التاريخية الموجّهة إلى الفتيان التي تتمحور حول شخصيات عربية إسلامية، كتبها لبناني معروف عاش في مصر، جرجي زيدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤)، وقد انتشرت كتبه في عدد من البلدان العربية وبرزت من بينها «فتاة غسان» و«فتاة القيروان» و«المملوك الشارد».

ولما كان أدب الأطفال يعكس واقع المجتمع وهمومه وتطلعاته، فقد شكّل

الهمّ الوطني الفلسطيني مادة أدبية غزيرة عند الأدباء العرب المعاصرين منذ الخمسينيات من القرن العشرين، إلا أنه انتعش في المراحل اللاحقة، بحيث وجدت القصة والقصيدة الوطنية الفلسطينية طريقها إلى مدارس عدد من البلدان العربية. لقد برز من بين كتاب أدب الأطفال المتمحور حول فلسطين كتّاب عرب كثيرون، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، زكريا تامر وليلى صايا وعادل أبو شنب من سورية، ومحيي الدين اللبّاد من مصر، وجمال أبو حمدان من لبنان، وفخري قعوار من الأردن. وفي الشعر برز سليمان العيسى في سورية.

في فلسطين، قبل النكبة عام ١٩٤٨ كانت الكتابة للأطفال كما في باقي البلدان العربية، تدور في فلك المدرسة، حيث كانت وزارة المعارف كما المدارس هي المعني بالكتاب والمقتني الأول له. ومن أبرز هؤلاء كان خليل السكاكيني في مجال النثر، ومحمد إسعاف النشاشيبي في مجال الشعر، فكان أول من كتب شعراً للأطفال، كما نقل بعض الأشعار للصغار في كتاب صغير سمّاه «أشعار عربية». وهدف الاثنان إلى «خلق جيل عربي أصيل مؤمن بأمته وقضاياها معتمداً ملكة اللغة العربية والشعر وسيلة لذلك»، كما أسهم د. إسحق موسى الحسيني في الكتابة للأطفال بعد النكبة خارج الإطار المدرسي. وكان من أوائل مؤلّفي أدب الأطفال حينها د. محمود زايد، فقد عرفت له مدارس فلسطين عشية النكبة ثلاثة كتب هي «نساء خالدات»، «يوليسيز التائه» و«العربي في حروبه». كان أول من جمع وسجّل الحكايات الشعبية، ثم أصدرها في كتب هو فايز علي الغول، أصدر منها كتابين «أساطير من بلادي» ١٩٦٥ و«الدنيا حكايات» ١٩٦٦[(٩)].

في لبنان ظهر أدب موجّه إلى الأطفال في النصف الأول من القرن العشرين مع عمر فروخ وحبوبة حداد وروز غريب وإدفيك شيبوب، وقد كتبت الأخيرتان بغزارة حتى الثمانينيات من القرن العشرين، وسنشير إليهما لاحقاً.

---

(٩) نجلاء نصير بشور، «أدب الأطفال الفلسطيني،» في: الموسوعة الفلسطينية، ١١ مج (بيروت؛ دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠).

وفي سورية برز على مستوى البلدان العربية الشاعر سليمان العيسى والقاص زكريا تامر، حيث انتشرت أشعارالأول وقصص الثاني، لا سيما منها الوطنية للأطفال في الكثير من بلدانها، واستمر الاثنان في الكتابة في المراحل التالية.

أما في الأردن فعرف فيه مؤلفون لكتاب الطفل، برز بينهم روكس بن زائد العزيزي، الذي كان من أبرز مؤلفي المناهج والكتب المدرسية للغة العربية. وفي المجال التعليمي الأخلاقي صدرت بعض الكتب في الخمسينيات والستينيات، كان منها «احمد المدلل» و«أيام الشتاء» و«وردان» لإسحق الحسيني وفايز الغول في الأردن، و«سمسمة الشجاعة» لأمين ملحس و«خالد وفاتنة» لراضي عبد الهادي، و«نجمة الليالي السعيدة» و«العصفور الأخضر» و«الأغاريد» لعيسى الناعوري.

٢ ـ التحول (١٩٧٩ ـ ١٩٩٠)

كان العام ١٩٧٩ نقطة تحول في مسار أدب الأطفال العرب. فبمناسبة السنة العالمية للطفل، وبين العامين ١٩٧٩ و١٩٩٠ نما الاهتمام بأدب الأطفال بشكل واضح مترافقاً مع الخطط لتطوير التربية في غير بلد عربي، فصدرت كتبٌ للأطفال في اتجاهات متنوعة، منها الوطني، والأخلاقي والثقافي. أما القصص الديني فقد أنتج بكثافة، وقد استمر في باقي المراحل. وقد خصص عدد من دور النشر قسماً خاصاً لإنتاج كتاب الطفل.

ومن أبرز كتابات القصة للأطفال، كانت قصص صدرت في الأردن في كتب وضمن مجلة «سامر»، والملحقات الثقافية في المجلات المحلية. فقد صدر للقاص محمود شقير عام ١٩٨٦ كتاب بعنوان «الجندي واللعبة»، تضمن أربع قصص، ثلاث منها من وحي الاحتلال هي «منع التجول»، «الجندي واللعبة»، «الزيارة» كلها تحكي معاناة أطفال فلسطين من قمع الاحتلال الذي مزق لعبة عزيزة في الأولى بحجة التفتيش عن متفجرات، وحبس الأطفال في البيت بحجة الحفاظ على الأمن ومنع التجول، وحرم الطفل أباه وسجنه بحجة المساس بأمن الدولة. وهي بالطريقة السلسلة التي كتبت فيها والتزامها اهتمامات الطفل وحاجاته، تحقق هدفاً هاماً، وهو تعبئة الأطفال ضد

الاحتلال ببساطة، وتوجيههم إلى ضرورة المقاومة، إذ يرشق الأطفال في القصة الثانية جنود الاحتلال بالحجارة، وكانت هذه امكانياتهم الصغيرة، فلم يتوانوا عن القيام بدورهم المقاوم، وكان ذلك قبل حوالى عقدين من انتفاضة أطفال الحجارة في فلسطين.

وبنفس النمط من البساطة في تنمية روح المقاومة ورفض الاحتلال والتمسك بالحقوق تأتي قصص د. شحادة علي الناطور التي تضمّنها كتاب «عرسان بياع السوس» وهي تشمل قصتين: الأولى بعنوان «الكتاب» والثانية «مات الضبع».

كما أصدر القاصّ مفيد نحلة في عام ١٩٨٠ رواية في حلقات، في مجلة «سامر»، بعنوان «أطفال القدس القديمة». وبالإضافة إلى القصص المباشرة حول فلسطين فقد ظهرت قصص تعالج القضية بشكل مبطن، وعلى لسان الحيوانات، كقصة «العصافير» لمفيد نحلة نفسه ١٩٧٧ تصور المقاومة وتوجّه نحو العمل الجماعي، موظفاً في ذلك الحيوانات كرموز؛ فالأفاعي مثّلت العدو الصهيوني والعصافير العرب، يدافعون عن أعشاشهم وبيوتهم، ويوضح الهدف منها أن الحق يستعاد بالقوة.

وأسهم محمد الظاهر في القصة كما في الشعر في المجال الوطني من أدب الأطفال فنشر قصة في مجلة «أفكار» الأردنية في عدد ٤٥ حزيران/ يوليو ١٩٧٩ بعنوان «رجل ورسالة». حيث استلهم الكاتب التاريخ من خلال شخصية صلاح الدين الأيوبي الذي ارتبط اسمه بتحرير القدس من الصليبيين وإعادة بناء دولة عربية موحدة.

في عام ١٩٨٦ دأبت روضة الفرخ الهدهد في الأردن على إعادة صياغة حكايات شعبية كان قد جمعها فايز علي الغول نفسه، لتصدر سلسلة كتب مصورة بعنوان «حكايات الغول». كما بدأت بإصدار سلسلة قصص تاريخي حول أبطال فلسطين ومعاركهم.

أ ـ تجربتان عربيتان رائدتان

تجربتان عربيتان رائدتان بزغ نجمهما عالياً وأفل سريعاً في تلك الفترة، أولهما دار الفتى العربي التي نشأت في بيروت عام ١٩٧٥، ونالت جوائز

عالمية كما ترجمت كتبها إلى عدة لغات، وثانيهما تجربة دائرة ثقافة الطفل في العراق، التي أنتجت عدداً كبيراً متميزاً من كتب الأطفال في السبعينيات والثمانينيات، ونالت كتبها جوائز وترجمت إلى عدة لغات. وبذلك كانتا أول مؤسستين عربيتين متخصصتين بأدب الأطفال.

في العام ١٩٧٤ أنشئت دار الفتى العربي في بيروت بعد دراسة تحليلية لكتب الأطفال الموجودة في المكتبة العربية، قام بها خبراء وتربويون أكدت الحاجة لكتب أطفال ذات مضمون تربوي هادف مسلكياً ووطنياً.

وقد عبّرت دار الفتى العربي تعبيراً صادقاً عن تمازج فلسطين كقضية مركزية بقضايا العرب كلها، وتوجّهت إلى الأطفال العرب في كل مكان، كما أتاحت الفرصة أمام العديد من الكتّاب والرسامين في البلدان العربية المختلفة للتأليف والرسم، في جو متقدم من التفاعل الجماعي. وكانت موضوعاتها وطنية تعليمية تاريخية وأسلوبها الفني متطور. وبرزت الدار على الصعيد العربي، وحتى العالمي، خلال سنوات قليلة كدار عربية مستقلة يقتصر إنتاجها على الأطفال، وكانت قفزة هامة في التوجّه نحو الأطفال العرب، وتنوع إنتاجها بحيث شمل إلى المواضيع الوطنية، مواضيع مختلفة اجتماعية وتراثية عربية وعالمية.

لقد أرست دار الفتى العربي من الناحية الفنية أسساً باتت مقياساً لرسوم كتب الأطفال وإخراجها. تميزت كتبها الوطنية منها بشكل خاص، كقصة غسان كنفاني «القنديل الصغير»، وقصة زين العابدين الحسيني «حارسة النبع».

أما القصص التعليمي فقد اعتمد عنصر الخيال والأسلوب الرقيق البسيط، ومنها قصص ليانة بدر «في المدرسة» و«القطة الصغيرة» وقصص تغريد النجار «مدينة بالألوان» و«حسن والغول»، وقصة معين بسيسو «عودة الطائر» من سلسلة المستقبل للأطفال، و«بالون ريمة» لدلال حاتم و«مالك الحزين يشتري حذاء» لعدنان غنام، و«بئر زويلة» لصفاء زيتون من سلسلة «قوس قزح».

أما للأطفال فوق سن ١٢ سنة فقد أنتجت الدار كتاباً لغسان كنفاني تضمّن ست قصص قصيرة من أعمال الكاتب تحكي قصة أطفال عانوا الظلم

الاجتماعي وقهر الاحتلال الذي ولّد في نفوسهم روح التحدي، وذلك بأسلوب أدبي جميل[١٠].

وتأثراً بدار الفتى العربي وفي العام ١٩٧٩ وبمناسبة السنة العالمية للطفل أُنشئت «دار النورس» وقد أصدرت سلسلتين من الكتب، كان أبرزها كتاب توفيق فياض «حيفا والنورس» وهي قصة وطنية بسيطة تعبّر عن الحب والحنين لفلسطين من خلال حيفا المدينة والفتاة، ولكنها تركت الفتاة حيفا في ضياع وانتظار ما سيأتي بعد. و«ساق القصب» للكاتب يحيى يخلف، و«هيولى» لخالدة سعيد، و«ما أجمل العالم» لجمانة النعمان، و«الصخرة والبحر» لخير الدين عبد الرحمن، وهي قصص خيالية وتربوية رقيقة.

لم تكن تجربة دائرة ثقافة الأطفال تقل أهمية عن تجربة دار الفتى العربي، حيث أدت إلى نهضة في أدب الأطفال في العراق، كما ساهمت في تشجيع الكتابة الإبداعية للأطفال في معظم البلدان العربية. تأسست دائرة ثقافة الأطفال بدورها عام ١٩٧٧ كإدارة مستقلة في وزارة الثقافة العراقية. وقد اشتهرت في إنتاجها «سلسلة مكتبة الطفل» التي كانت تصدر منها أكثر من مئة عنوان في العام الواحد. وقد ساهم في كتاباتها مؤلفون ورسامون عراقيون وعرباً، وكان أبرزهم الشاعر فاروق السلوم، الذي كان مديراً للدائرة، فأصدر ديوانه «أغاني الحصان للأطفال»، الذي نال جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨٢، وحوالى ٢٢ كتاباً، من أشهرها «قوس قزح» و«فتاة الأخطار» و«سلسلة سنبل النظيف».

ومن روّاد أدب الأطفال في العراق الذين أصدرت لهم الدائرة دووايين من القصائد والأناشيد التربوية، كان أحمد حقي الحلي (١٩١٤ ـ ١٩٩٦).

ب ـ هناك بعض الخصائص المشتركة التي تميزت بها هاتان المؤسستان:

(١) تعاونت كلتا المؤسستين مع مبدعين من مختلف البلدان العربية في كتابة النصوص ووضع الرسوم، فجاء إنتاجهما، لا سيما الرسوم منها، متقدماً ومبدعاً. ويمكننا القول إنهما أرستا أسساً فنية باتت مقياساً لدى

---

(١٠) المصدر نفسه.

النخبة لرسوم كتب الأطفال وإخراجها حيث أخذت موقعاً عالمياً مميزاً. كما أدى ذلك الامتداد العربي إلى إنتاج غزير وفي فترة زمنية قياسية تنوعت مواضيعه وأساليبه ليلبّي اهتمامات شرائح مختلفة من الأطفال في أرجاء الوطن العربي الكبير، فشملت مواضيع علمية واجتماعية وخيالية ووطنية بالإضافة إلى التراثية، كما كان هذا التنوع يعبّر عن نظرة إلى الطفل كمواطن المستقبل، متفتح الذهن، نامي القدرات، ذا هوية عربية والتزام وطني واضح المعالم.

(٢) حازت كلتا الدارين على دعم رسمي على كافة الصعد، **فدائرة ثقافة الأطفال** هي بحد ذاتها مؤسسة رسمية عراقية، نشأت في كنف وزارة الثقافة رغم استقلاليتها الإدارية، إلا أنها انطلقت من الأهداف القومية العربية التي قادت الحكم في العراق آنذاك. و**دار الفتى العربي** ارتبطت بقضية فلسطين، وجاءت كمبادرة من مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، الذي دعا بعض أصحاب رؤوس الأموال الفلسطينية إلى إنشائها، الأمر الذي أعطى هاتين المؤسستين هامشاً كبيراً للحركة، وإمكانية انتقاء الأفضل من النصوص والرسوم، كما وفّر لهما حماية أعانتهما على زخم الإنتاج بكميات كبيرة، لا سيما **دائرة ثقافة الأطفال** التي كانت تطبع كتبها في الشرق الأقصى وبعشرات الألوف من النسخ للكتاب الواحد، مما ساعد على توفير هذه الكتب بأسعار زهيدة جعلتها بمتناول الطبقات الوسطى وما دونها. ورغم أن **دار الفتى العربي** كانت تطبع بكميات كبيرة نسبياً لم تصل إلى عشرات الألوف للطبعة الواحدة بل عشرة آلاف وأكثر قليلاً. إلا أنها طبعت في بيروت وبقيت كتبها محصورة بأبناء النخب المثقفة.

(٣) تراجعت هاتان المؤسستان، حتى توقفتا كلياً عن العمل بسبب الظروف السياسية التي أحاطت بهما. حوصر العراق، فتراجع عمل **دائرة ثقافة الأطفال**، وتلاه الاحتلال الأمريكي لتتوقف كلياً عن العمل، لتعاود العمل ولكن كمؤسسة عراقية فحسب. وتراجعت حركة المقاومة الفلسطينية خارج الأرض المحتلة التي نشأت **دار الفتى العربي** بكنفها، وغادرت بيروت مع أبنائها إلى القاهرة عام ١٩٨٢، حيث عانت أزمة مالية أدت إلى توقفها نهائياً عن العمل. ولم نعد نرى في المعارض العربية أو العالمية أو حتى المكتبات

كتباً لهاتين المؤسستين المتميزتين بل أصبحتا جزءاً من التراث ليس إلا، نجهد لنجد وثيقة بإنتاجهما ولو بهدف التوثيق أو الدراسة.

٣ ـ الانطلاق (١٩٩٠ ـ ....)

منذ ١٩٩٠ اتخذ أدب الأطفال العربي منحىً جديداً، حديثاً، ترافق مع تنامي حركة تشجيع حقوق الطفل، وبرامج الإصلاح التربوي التي تماشت مع طموحات برنامج «التعليم للجميع» الذي أقرّ في مؤتمر القمة العالمي في جو متين عام ١٩٩٠. كما ترافق مع التقدم في مجال طرائق التربية فبات الطفل محور العملية التعليمية، فاعتمد التعليم المستقل والنشط بحيث بات الطفل فاعلاً ومتفاعلاً في العملية التعليمية. وترافق مع دخول التقنيات الحديثة عالم الأطفال بحيث أضحت وسيلتهم المفضلة للتعلم والتواصل الاجتماعي. وفي الوقت نفسه سادت في هذه الفترة تحديات على الصعيد القومي تمثلت بالاحتلال الأجنبي والصراعات الداخلية لغير بلد عربي.

أدت هذه التغيرات إلى نشوء نوع جديد من أدب الأطفال، إضافة إلى غزارة في إنتاجه والاهتمام به من قبل هيئات حكومية وأهلية وخاصة. فتأسست دور نشر متخصصة في إنتاج كتب للأطفال فقط في عدد من البلدان العربية «لبنان، مصر، سورية، الأردن، الكويت، فلسطين»، ومؤخراً الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة، إلا أن العدد الأكبر منها أنشئ في لبنان، وقد بلغ عدد الدور حتى العام ٢٠١٠ عشرين داراً حسب وزارة الثقافة اللبنانية. كما انتشرت مكتبات الأطفال الخاصة.

وتميزت في هذا المجال مصر ولبنان، تونس. كما أفردت جوائز خاصة بأدب الأطفال، أبرزها جائزة سوزان مبارك، وجائزة كامل كيلاني في مصر، وجائزة الشارقة لأدب الطفل، وجائزة اتصالات «الشارقة»، وكذلك جائزة عبد الحميد شومان في الأردن، وجائزة أبو ظبي للإبداع، وجائزة الدولة في قطر، ومؤخراً جائزة مؤسسة الفكر العربي. وعام ٢٠١٠ أسست ولمرة واحدة مؤسسة أنا ليند اليورو متوسطية للحوار بين الثقافات جائزة «إقرأ هنا وهناك» لأدب الأطفال العرب.

ونشهد اليوم مهرجانات لتشجيع القراءة في غير بلد عربي تنظمه وزارة الثقافة بالتعاون مع هيئات غير حكومية معنية بالمطالعة، ومكتبات عامة ومكتبات خاصة ودور نشر، كما بدأت ظاهرة توقيع كتب الأطفال من قِبَل الكاتب والرسّام في لبنان في العقد الأخير.

إن هذا الجو الجديد ساهم في تشجيع دور النشر على إنتاج كتب الأطفال كما في تطوير نوعيتها، حيث بات الأطفال يقرأون من أجل المتعة وليس من أجل تحقيق أهداف المدرسة، كما كان سابقاً. مما جعل الكتّاب يسعون إلى وضع كتب تنطلق من عالم الأطفال وتتمحور حول اهتماماتهم لتجذب الأطفال ليختاروها بأنفسهم. فمؤلفو كتب الأطفال في المرحلة الجديدة باتوا من أساتذة الجامعات، كما من الشباب ومن كتّاب وأدباء كبار، كانوا وما زالوا يكتبون للأطفال، وبات العنصر النسائي بينهم الأكثر عدداً منذ الانطلاق. وينطبق هذا على الرسم الذي خاض غماره رسامون كبار ورسامون ناشئون. لقد ساهم هؤلاء، لا سيما الشباب منهم، بأخذ أدب الأطفال إلى حيز الحيوية والحداثة مستفيدين من اطلاعهم على التطورات العالمية في هذا الحقل.

ومن المهم الملاحظة هنا أن هذه الحركة الناشطة في أدب الأطفال لم تكن بالقوة نفسها بين البلدان العربية، وإنما تفاوت الاهتمام والانطلاق من بلد إلى آخر. إلا أن المهم ذكره هنا هو أن أول بلد عربي وضع خطة وسياسة وطنية من أجل تطوير أدب الأطفال كان في فلسطين، رغم الاحتلال وعذاباته، كما أن مؤسسات هامة أنشئت كـ «مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي»، في رام الله، وامتدت إلى غزة، وقد نالت جائزة أستريد ليندجرين، وهي أكبر جائزة عالمية لأدب الأطفال عام ٢٠٠٩، وكذلك المركز العربي لثقافة الأطفال في القدس. بينما تراجع أدب الأطفال في العراق بشكل شبه تام بسبب الاحتلال الأمريكي الذي أعاق كافة النشاطات الثقافية في البلد.

رابعاً: خصائص الاتجاه الجديد في أدب الأطفال العرب

١ ـ يبدو من المواضيع المختارة أن هناك نظرة جديدة للطفل من قِبَل الكتّاب، بأنه طفل ذكي ويستطيع مواجهة التحديات، وذلك كتعبير عن تطور النظرة إلى الطفل والأساليب التربوية المتبعة في التعامل معه. فالطفل أصبح هو

الشخصية الفاعلة في القصة، يعبّر عن مشاعره، واهتماماته، وتطلعاته وقلقه وتمرده. فنرى القصص تكتب من وجهة نظر الطفل وبلسانه، حتى الطفل الذي ولد للتوّ، كما هو في «أهلاً لينا» لنجلاء بشور حيث تعبر لينا عن مشاعرها وهي تتجه نحو العالم خارج رحم أمها الدافئ، وتعيش صدمة الضوء، كما في «كيف أشعر» لفاطمة شرف الدين»، و«أنا لا أحب» لهند خليفة من السعودية، و«الكذبة التي كبرت» لتغريد النجار، و«حزن وفرح» لنبيهة محيدلي، و«تحت السرير» لسماح إدريس، و«مالك لا يعرف الخوف» لأماني عشماوي من مصر. حتى أن الطفل بات يلعب دوراً فاعلاً في محاولة إجراء تغييرات في عادات الأهل، ويظهر هذا في قصة «عندما قرر أبي» لسماح إدريس، و«أمي والتدخين» لسمر براج. كما ظهر بشكل فكاهي مثل «العملاق العملاق» لرانية زغير، «ولائحة مشتريات» لنبيهة محيدلي.

٢ ـ رغم أنه ما زال هناك حظر/ تابو لبعض المواضيع التي تتجنبها المؤسسات التربوية، حيث إن المدارس هي الأكثر اقتناءاً للكتب، وحتى القصص التي تفرض مقاييسها ومحافظتها على اختياراتها، بمعنى أنها تتجنب التطرق إلى المواضيع الإشكالية في المجتمع، لا سيما تلك المتعلقة بالصراعات الداخلية العرقية والطائفية، إلا أن المحاور الوطنية العامة ظهرت جلياً في أدب الأطفال في هذه المرحلة، تروي ببساطة الحرب والاحتلال والمقاومة من خلال تجارب الأطفال وعيونهم لا سيما في البلدان التي تعرضت لذلك. ففي لبنان كانت قصص «الملجأ» لسماح إدريس، و«في مدينتي حرب» لفاطمة شرف الدين، و«الشاطئ السري» لعايدة نعمان، و«يوميات هر» لإملي نصرالله، و«سلسلة حنين» حول أطفال فلسطين لنجلاء نصير بشور. وفي العراق ظهرت قصص جاسم محمد صالح الذي كتب عن الاحتلال البريطاني في الحصار: «ثلاث قصص من ثورة العشرين» وعن الاحتلال الأمريكي في «شجرة التفاح» و«الكابوس»، و«الأشجار تورق من جديد» و«الطفلة المجنونة». وتميزت بذلك من الأردن روضة الفرخ الهدهد التي قدّمت قصصاً لشخصيات برزت في مقاومة الاحتلال.

٣ ـ عالجت القصص في هذه المرحلة مواضيع اجتماعية لم يتم التطرق إليها سابقاً، فعن موضوع الموت: «مشمش» للينا مرهج، «جدتي وأزهار

الخزامى» لفيروز قاردن بعلبكي، و«لماذا مات الكنار» لإدفيك شيبوب؛ وعن الطلاق «اشتقت إلى أمي» لنجلاء نصير بشور؛ وعن الإعاقة «عدنان لا يحب قصتي» للمياء الصاحب، و«يوم خاص» و«أخي يختلف» لنجلاء نصير بشور و«حسن يرى كل شيء» لفاطمة العدول، «ناجي المختلف» لإدفيك شيبوب، وعن المرض كالسرطان، في «عندما مرضت صديقتي» لسمر براج؛ وعن كسر التقسيم التقليدي للأدوار: «تماراً وبابا في السوق» لهدى الناشف، «أنا وبابا» لعبير بلان، «أريد أماً جديدة» لسماح إدريس، و«الأصدقاء الأعداء» لحسن عبد الله عن الصداقة والصراع بين الأصدقاء،

٤ ـ رغم قلّتها فهناك توجّه إلى معالجة مواضيع علمية تتعلق بظواهر طبيعية لم يكن يتم التطرق إليها من قبل، مثل «قطرة ماء والألوان» و«الفقاعة الملونة» لنجلاء نصير بشور، و«عندما هبّت الريح» و«مطرٌ، مطرٌ، مطر» و«من يخفي القمر» لكاتي خطار، «السلحفاة» لعماد زكي، ومواضيع تتعلق بالبيئة كقصة «مرجان ومرجانة» لبيان الصفدي.

أما قصص الحيوان التي تشد الأطفال في المراحل العمرية الأصغر، فبعد أن كانت الحيوانات في السابق تؤنسن وتعطى صفات البشرية فتلعب وتقوم باحتفالات كأعياد ميلاد وتتحاور وتتعاون وتتعادى، ولكنها تخفي من وراء القصة عبرة للبشر عن طريق إضفاء صفات بشرية عليها ترتبط بخصائصها الطبيعية وتتماشى مع صفات بشرية؛ فيكون الأسد قوياً وجباراً، والأرنب ضعيفاً، والنمر كاسراً والثعلب مكّاراً، والذئب لا يؤتمن، والقطة غدّارة، والكلب وفياً، وكذلك الحصان والحمار، والديك صيّاحاً. إلا أن ذلك تغير حديثاً فالحيوان بات شخصية من شخصيات القصص يتعامل مع الإنسان كما يتعامل في الطبيعة، مع الإبقاء على صفات الحيوان العلمية مع علاقة خيالية تثير العواطف والتفكير وليس بالضرورة فيها عبر، ومعالجة الحيوانات بطريقة علمية وخيالية ليس كما في السابق كوسيلة لتقديم النصح والأخلاق، مثل «الزرافة الكسولة» لنهى طبارة حمود، وقصة «عنتر الأشقر» لعايدة نعمان، و«يوميات هر» لإملي نصر الله، و«ديك الجبل» لفاطمة شرف الدين، و«سيرة الحمار الأخير» لسناء شيباني.

تبدو قصص الخيال العلمي قليلة في أدب الأطفال العرب في كافة المراحل، وربما يعود ذلك إلى ضعف الثقافة العلمية التي يفترضها هذا النوع من الإبداع بين أدبائنا بشكل عام. ونرى هذا النوع من القصص مع كاتب من المغرب امتد إنتاجه على مدى المراحل الثلاث، عبد السلام البقالي (١٩٣٢ ـ ٢٠١٠) منذ اشتهرت قصته «الطوفان الأزرق» التي توقع فيها التغيير البيئي ومشكلة الأوزون وكانت صدرت عام ١٩٩٧.

٥ ـ في هذا التوجّه الجديد نرى القيم باتت مبطنة فيوحى بها إيحاء. وهذا يرتبط بالنظرة الجديدة إلى الطفل التي تثق بقدراته العقلية وتتوافق مع نتائج أبحاث الدماغ التي تعتبر أن تحدي العقل هي الطريقة الأفضل للتعلم، وفي إطار قصة كقصة «العين» لعفاف طبالة، أما القيم الغالبة في هذه القصص فتتسم بكونها تتركز على القيم الشخصية والاجتماعية التي تعتبر قيماً إنسانية عامة؛ كاللياقة والتواضع والعمل والصدق والشجاعة والصداقة والوفاء والتعاون وحب المساعدة، مقابل قيم سلبية كالفضول والطمع والبخل والاحتيال. كما أن هناك شبه غياب لقيم شخصية حديثة تساعد الأطفال على الولوج إلى العصر، كالموضوعية، والدقة العلمية، وقيم تتعلق بالتكنولوجيا الحديثة والتعامل على أساسها، وقيم علمية كالتفاؤل واعتماد الحقائق للاستنتاج.

وكذلك هناك شبه غياب لقيم اجتماعية ضرورية لمواجهة التحديات الاجتماعية كالعدالة وتكافؤ الفرص، وبالطبع المواطنة التي تتطلب حقوقاً وواجبات عامة، والنظرة إلى الآخر المختلف، لا سيما طائفياً في غير بلد عربي. وكذلك قيم لها علاقة بالمحافظة على البيئة. ولا بد لي من الملاحظة هنا أنني أرى أن وراء هذا النقص في هذه المواضيع أن معظم كتّابنا الشباب مطلع بشكل كبير على إنتاج المجتمعات الغربية الجذاب للأطفال، وبشكل عام يتطلع إليها كنموذج يحتذى. إلا أن هذا الإنتاج يعبّر عن مجتمعات مستقرة ومتقدمة في آن، تلك التي تختلف حاجات أطفالها وتحديات مجتمعاتها عن بلادنا.

٦ ـ ما زالت غالبية القيم المتعلقة بالمرأة تقليدية، رغم أن معظم الكتابات كانت لنساء، ورغم أن هناك عدداً من الكتب الذي أورد طموحات لطفلات بأن يكنّ عاملات ومتعلمات، إلا أن النساء ظهرن تقليديات في

القصص. ويظهر ذلك في دراسة فاديا حطيط حيث معظم الأفعال المرتبطة بالنساء كانت تتسم القلق والعطف والحنان والخوف والبكاء، كما حددت دورها في التدبير المنزلي. بالطبع هناك ومضات من التغيير في هذه الأدوار كقصة «أمي هي الكاتبة» لنبيهة محيدلي، و«سلسلة نديم ورنا»، لنجلاء نصير بشور، حيث رنا شخصية جريئة تحب العلم وتتابع المعلومات على الحاسوب. و«أمي هل تحبينني» لدينا شرارة، حيث الأم تعمل على الحاسوب. ولا بد هنا من الإشارة إلى مبادرة عبد الوهاب المسيري في تعديل بعض الحكايات العالمية فقد بدا أن المهم ثقافة الفتاة وليس جمالها، كما في «سندريلا القرن العشرين».

٧ ـ أطل التراث ومن ضمنه القصص الدينية في هذه المرحلة بحلّة جديدة محدثة نصاً وإخراجاً، وجاء عن طريقين: الاستحضار والاستلهام. فاستحضر المؤلفون القصص التراثية عن حكايا وشخصيات، كما هي، ووضعوها بقالب جديد من حيث اللغة والأسلوب والرسوم والإخراج. فمن القصص الديني كان كتاب عبد التواب يوسف الذي نال جائزة راجازي العالمية في بولونيا «حياة محمد في عشرين قصة»، ومجموعة قصص كتبها ورسمها أحمد بهجت، منها «صوت يونس» و«فيل أبرهة» و«هدهد سليمان»، و«ناقة صالح».

ومن قصص التراث الشعبي كتب ورسم حلمي التوني «حكايات شعبية مصرية»، وسلسلة تراثية ليعقوب الشاروني، منها «جميل وجميلة»، وكذلك سلسلة «من وحي كليلة ودمنه» و«حكاية الطنبوري» لفاطمة شرف الدين و«سيف بن ذي يزن» لمؤنس الرزاز، وغيرها الكثير.

وجاء الاستلهام بمعنى استيحاء جوانب من التراث كالشخصيات أو الحكايا وتحويرها بشكل يتلاءم مع القرينة الحديثة، كأن تجعل السندباد بطلاً لقصة تدور في إطار الحياة الحديثة، كما جعله حسن ضاهر في سلسلة «أيمن يبحث عن السندباد»، وقصة إيهاب شاكر «عندما رقص الأسد»، ومن القصص الديني غير المباشر قصتا نبيهة محيدلي «شكراً» و«سبحان الله».

وقد برع عبد الوهاب المسيري في استلهام التراث العالمي لتحديثه وذلك في قصصه: «نور والذئب الشهير بالمكار» و«سندريلا وزينب هانم خاتون».

٨ ـ ظهر اتجاه جديد في الأدب يرتبط بالبيئة أو القرينة التي تجري فيها

أحداث القصة، فبعد أن كانت القرية والمزرعة هي البيئة التي يتم فيها التعبير عن الثقافة المحلية نرى اليوم الأحداث تنتقل إلى المدينة حيث أبطالها يعيشون في شقق وبنايات عالية، كسلسلة «طفل من بيروت» لسماح إدريس.

٩ ـ تكاد تغيب القصص البوليسية، وحتى المغامرات عن أدب الأطفال، باستثناء عدد نادر من القصص التي كتبها مؤلفون من جيل المرحلتين الأولى والثانية، وربما كان أشهر هؤلاء عبد السلام البقالي من المغرب الذي كتب القصص البوليسية في سلسلة، منها «سر المجلد الغامض»، «الاختطاف»، و«الكنز الضائع».

ورغم أن أدب الرحلات كان من التراث الأدبي العربي إلا أنه غاب في الأدب الحديث. كما أن قلّة عالجت سيرة حياة شخصيات فاعلة في تاريخنا إن من حيث الإنجازات الثقافية والعلمية أو من حيث الشخصيات التاريخية السياسية والوطنية.

١٠ ـ مع أن هناك قصصاً أدبية جديدة لها بنية أدبية واضحة من حيث الحبكة وبناء الشخصيات، إلا أن أدب الأطفال العربي الحديث كان يُعنى بالحدث أكثر مما يُعنى ببناء الشخصيات، لذا كان من الصعب التماهي مع شخصية منها من قبل الأطفال، وبالتالي التأثر بها وبما تنقله لهم من قيم، عدا الشخصيات في الحكايا القديمة. بينما نجد في الغرب بعض الشخصيات التي جذبت الأطفال القرّاء، وربما كان الإعلام والإنتاج السينمائي وراء هذه الظاهرة في بلدان مختلفة من العالم.

هناك شخصيات متشابهة في حضارات وثقافات مختلفة. الفكرة نفسها، ولكنها توضع في سياق ثقافي كحي بن يقظان العربي، وروبنسون كروزو الإنكليزي، وكيتارو الياباني.

١١ ـ يبرز سعي كتاب الأطفال إلى توليد لغة عربية سليمة إلا أنهم يدخلون في نصوصها، لا سيما في الحوارات، مصطلحات وجملاً عامية، مما أثار جدلاً بين التربويين والأدباء حول صوابية هذا الأسلوب، حيث اعتبر تشويهاً للغة الطفل، بينما تبين للرأي المغاير فكرة ارتباط أدب الطفل بالحياة اليومية للطفل.

من حيث الشكل هناك تطور هام في كتاب الطفل حيث نرى الرسوم الأكثر جاذبية وخيالاً، البعض منها يستقي من التراث العربي والإسلامي كمصدر له، والبعض يعتمد على الثقافة الغربية، والبعض الآخر يعتمد مزيجاً من الاثنين معاً. أما الألوان فباتت أكثر جاذبيةً وتداخلاً مع النص بشكل يجعل من الصفحة فيها لوحة متكاملة، بل إن العديد من الرسوم تحكي القصة بشكلٍ متوازٍ مع تلك المكتوبة وتكملها. حتى شكل الكتاب أصبح متنوعاً، يكسر القالب التقليدي، فهناك المربّع والمستطيل عرضاً، والكبير والصغير. كما اعتمدت أنواع أكثر جودة من ذي قبل، حتى أن بعضها اعتمد ورقاً فنياً مميّزاً.

خاتمة

من الصعب فصل أدب الأطفال عن المطالعة، فسلوك المطالعة للمتعة أو الفائدة الشخصية ليس عاماً في بلادنا، وبالطبع له أسبابه المرتبطة بنسبة الأمية العالية، كما أن نسبة الفقر العالية تجعل اقتناء القصة كمالية يصعب على غالبية أبناء المجتمع العربي اقتناؤها. أضف إلى ذلك العدد القليل من المكتبات العامة التي يمكن للطفل أن يقترض منها كتاباً، وكذلك المكتبات المدرسية في معظم البلدان العربية. إلا أن المشكلة الأهم تكمن بالطريقة التقليدية التي تقدم بها اللغة العربية في المناهج المدرسية مقارنةً باللغات الأخرى، مما يجعل الأطفال الذين توجّههم مدارسهم للقراءة يقبلون على الكتب الأجنبية وعدم التعرف على العربية منها. وهذه الأمور تؤدي إلى قلة عدد القراء، وبالتالي إلى تحديد عدد النسخ المبيعة من كلّ كتاب، مما ينعكس سلباً على دور النشر والكاتب والرسّام، وعلى تشجيعهم على إنتاج المزيد والارتقاء بنوعيته.

ويأتي الآن عامل جديد يقلّل من قيمة الكتاب المطبوع وانتشاره وهو ظهور كتاب الأطفال الرقمي في العالم وبدايات إطلالته في بلداننا العربية، لا سيما في لبنان والأردن. ويشكّل هذا، بالإضافة إلى ما سبق، تحدياً للكتّاب والرسّامين ودور النشر والمكتبات العامة والخاصة والمدارس على حدٍّ سواء.

المراجع

١ ـ العربية

بشور، نجلاء نصير. «اتجاهات حديثة في أدب الطفل العربي.» ورقة قدّمت إلى: ندوة «أدب الطفل العربي»، التي أقيمت في معرض الكتاب الأمريكي، نيويورك ـ الولايات المتحدة الأمريكية، أيار/ مايو ٢٠٠٩.

ـــــ. «أدب الأطفال في لبنان ـ أي هوية.» ورقة قدمت إلى: مؤتمر «أدب الأطفال والمطالعة في لبنان، الذي نظّمته مؤسسة أناليند اليورومتوسطية للحوار بين الثقافات بالتعاون مع جمعية الهدى للرعاية الاجتماعية في بيروت، تموز/ يوليو ٢٠٠٧.

ـــــ. «أدب الطفل العربي: الواقع والتحديات.» ورقة قدمت إلى المؤتمر الآسيوي السادس لأدب الأطفال، ديانيم ـ الصين، ٢١ آب/ أغسطس ٢٠٠٢.

ـــــ. «صناعة كتاب الطفل العربي.» ورقة قدمت إلى: ندوة «صناعة كتاب الطفل»، الجمعية الثقافية العربية، بمناسبة عمّان عاصمة ثقافية، شباط/ فبراير ٢٠٠٢.

جعفر، علي عاشور. **مائة كتاب للأطفال جديرة بالقراءة.** الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، ٢٠١١.

الجويلي، محمد. **انتروبولوجيا الحكاية: دراسة انتربولوجية في حكايات شعبية تونسية.** تونس: مطبعة تونس قرطاج، ٢٠٠٢.

حطيط، فادية. **أدب الأطفال في لبنان.** بيروت: دار الفكر اللبناني، ٢٠٠١.

الخطة القومية الشاملة لثقافة الطفل العربي. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، ١٩٩٣.

دليل كتب وقصص الأطفال الصادرة باللغة العربية. بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ٢٠١٠. (مشروع الإسهام في تطوير اللغة العربية)

شلبي، محمود. **الديك والنهار: قصائد وأناشيد للأطفال.** عمّان: منشورات وزارة الثقافة والشباب، ١٩٨٢.

طرابلسي، نوال. ضمن برنامج تطوير أدب الأطفال: «مئة كتاب وكتاب». الإسكندرية، ٢٠٠٧.

مجموعة مؤلفين. **أدب الأطفال والفتيان في العالم**. ترجمة نادر ذكرى. اللاذقية: دار الحوار، ١٩٨٢.

ملص، محمد بسام. **كتب الأطفال المصورة**. عمّان: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٩.

نجيب، أحمد. **أدب الأطفال علم وفن**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩١.

النوايسة، عبير. **أدب الأطفال في الأردن: الشكل والمضمون**. عمّان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

يوسف، عبد التواب. **كتب الأطفال في عالمنا المعاصر**. القاهرة: دار الكتاب المصري؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥.

٢ ـ الأجنبية

Bettelheim, Bruno. *The Uses of Enchantment: The Meaning and Importance of Fairy Tales*. New York: Vintage Books, 1977.

Karatay, Halit. «Transfer of Values in the Turkish and Western Children's Literary Works: Character Education in Turkey.» *Educational Research and Reviews*: vol. 6, no. 6, June 2001, pp. 472-480.

Klein, Gillian. *Reading into Racism: Bias in Children's Literature and Learning Materials*. London; Boston, MA: Routledge and Kegan Paul, 1985. (Routledge Education Books)

Mdallel, Sabeur. «The Sociology of Children's Literature in the Arab World.» *New Perspectives on Children's Literature*: vol. 8, no. 2, April 2004.

Sharma, Vishnu. *The Panchatantra (c. 1199)*. Translated by Arthur W. Ryder. Chicago, IL: University of Chicago Press, 1925.

Sutherland, Zena and May Hill Arbuthnot. *Children and Books*. Chapters contributed by Dianne L. Monson. 8th ed. New York: HarperCollins, 1991.

Thomson-Wohlgemuth, Gabriele. «Children's Literature and Translation under the East German Regime.» *Meta: Translators' Journal*: vol. 48, nos. 1-2, May 2003, pp. 241-249.

- تُعنى سلسلة «**أوراق عربية**» بنشر مادة فكرية ميسّرة لقاعدة واسعة من القرّاء، في موضوعات وشؤون مختلفة (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، لغوية، إعلامية...)
- تسعى سلسلة «**أوراق عربية**» إلى تنمية تقاليد القراءة لدى الشباب، وبالتالي ربط قرّائها بالقضايا والإشكاليات الكبرى التي تشغل النُخَبَ والرأي العام، وتتصل بالمصير والمستقبل في وطننا العربي، والعالم من حولنا.

أوراق عربية ٣١

في هذه الورقة **أدب الأطفال العرب** تقدّم الباحثة تعريفًا بهذا الأدب، وتقرنه بلمحة تاريخية، حيث رصدت البدايات عالمياً وعربياً، ثم مراحل نمو هذا الأدب في الوطن العربي.

وعنيت بخصائص الاتجاه الجديد في أدب الأطفال العرب، من ذلك النظرة الجديدة إلى الطفل من قِبَل الكتّاب، فقد غدا الطفل الشخصية الفاعلة في القصّة، كما أخذت موضوعات الحرب والاحتلال والمقاومة والموضوعات الاجتماعية، وقصص الخيال العلمي، مكانة متقدمة ومتطورة، كما أطلّ التراث، ومن ضمنه القصص الدينية بحلّة جديدة. ولا يفوت الباحثة رصد ما يلاقي كتاب أدب الأطفال من صعوبات وتحديات، ومن أبرزها ظهور كتاب الأطفال الرقمي، حديثاً.

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع
الحمراء - بيروت ٢٤٠٧ ٢٠٣٤ -
تلفون: ٧٥٠٠٨٤ - ٧٥٠٠٨٥ -
برقياً: «مرعربي» - بيروت
فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)

e-mail: info@caus.org.lb
Web site: http://www.caus.org.lb



ISBN 978-9953-82-540-3